**سيميولوجيا فرديناند دي سوسير وأثرها في التأسيس للدرس السيميائي" 2" .**

إن العلامة اللسانية لا تجمع شيئا باسم ،وإنّما تجمع مفهوما le concepe مدلول singnifié ،صورة ذهنية ) بصورة أكوستيكية image acoustique (الدال ، التصور أو الأثر النفسي الذي يتركه الصوت فينا وليس الجانب المادي ( الصوت المسموع ) ،( فالمدلول عبارة عن فعل شعوري ،نفسي ومجرد ،والدال هو البصمة النفسية للصوت المادي ،ولا يمكن تصور وجود علامة لسانية إلا باجتماع هذين الطرفين).

العلامة اللسانية signe linguistique

دال (صورة سمعية) signifiant مدلول (مفهوم) signifié

إن الرابط الذي يجمع بين الدال والمدلول يرتكز أساسا على مبدأ الاعتباطية « principe d’arbitraire » لأن العلاقة التي تجمع بينهما لا تقوم على المناسبة والمشابهة انطلاقا من أن ( الدوال لا تحيل على مدلولاتها بموجب اقتضاءات أو ضرورات منطقية، وإنّما على وفق العادة الاجتماعية، أي انطلاقا من اتفاقات وتعاقدات الجماعات اللسانية ) ولعلها العلّة التي تبرّر التصنيف الذي ميز من خلاله (**دي سوسير**) الدراسة التاريخية التطوّرية (Diachronique) التي تقارب اللّغة من خلال علاقتها بالعناصر الخارجية التي تؤدي دورا في بناء نسقها وفي تطورها وبين الدراسة التزامنية (Synchronique) (فاللسانيات الداخلية هي تلك التي تتمحور حول اللسان كجهاز عضوي وكنسق وبذلك تكتسي أهمية قصوى للباحث اللساني (...) اللسانيات الخارجية تعمد إلى تجميع الوقائع وعدها وتجميع التفاصيل والجزئيات الأنتروبولوجية والحضارية والسياسية والمؤسساتية التي توضح جوانب لسانية ) بغية الاهتمام بالعلاقات التي تربط العلامات اللسانية فيما بينها ضمن نظام يؤسس للنسق المحايث المستقل والمغلق للسان أيّ؛ دراسة اللسان لذاته ولأجل ذاته في آنية مقصية للسياق بكل أنواعه واستبعاد أي دور فاعل للذات .

اعتمد"**دي سوسير**"إذن الدراسة التزامنية كونها دراسة وصفية ومحايثة (Immanante)تمكن الدارس من مقاربة وفحص العناصر الداخلية للغة واكتشاف بنيتها الثابتة مهملا الدور الذي يحدثه العامل الزمني في اللّغة من تحولات .

إن التصور الذي قدمه "**دي سوسير**" للعلامة بوصفها مادة للسان يهدف إلى الاهتمام بالعلاقات التي تجمع العلامات اللسانية فيما بينها فقط ضمن نضام يزيح أيّ مرجعية لغوية كي يؤسس للنسق الخالص ،المستقل والمغلق للسان أي؛ دراسة اللسان لذاته ولأجل ذاته تعّد محددا من محدّدات التأصيل التي انطلق منها (غريماس) لتشييد أنظمة الدلالة الذي يعتمد في الأساس على المفهوم النسقي و المحايث للغة .

**مبدأ الاختلاف**

يعدُّ مفهوم القيمة اللسانية Valeur linguistique أحد المفاهيم والمرجعيات الأساسية المستثمرة في النظرية السيميائية السردية لدى"**غريماس**"شأنها شأن الأصول اللّسانية الغلوسيماتيكية، التوليدية والأصول الشكلانية المتمثلة حول الحكاية الشعبية ...إلخ ،وغيرها من محددات التأصيل الأخرى .

يرجع مفهوم **القيمة** في مجال الدراسات اللسانية والسيميائية إلى(**دي سوسير** ) الذي أدرج في سياق حديثه عن موضوع اللسانيات المتمثل في اللسان la langue مفهوم **القيمة اللسانية** وقد اعتبر ( أن اللسان نسق من القيم الخالصة ) ينهض أساسا على العلاقات الاختلافية والتعارضية على المستوى الصوتي والدلالي ،وأنّ كل عناصر النسق تعدّ عناصر متلازمة ومتضامنة وأن قيمة كل عنصر لا تتحدد إلا في علاقتها الاختلافية مع العناصر الأخرى.

إنّ الكلمة من منظور"**دي سوسير**" لا يمكن أن نلتمس معناها إلاّ من خلال ما يحيط بها من كلمات أخرى ضمن تصوّر شامل هو **النسق le système** الذي يكسبها بالإضافة إلى دلالتها الذاتية قيمتها الخالصة وعليه، فإنّ قيمة الكلمة تكمن أساسا في مبدأ العلاقات القائم على التماثل والاختلاف مع الكلمات الأخرى، لأن الكلمة ليس لها معنى في ذاتها إذا ما نظر إليها معزولة ضمن نسقٍ معيّن (إذ لا قيمة للعلامة إلا من خلال مبدأ الاختلاف ، لأن اختلاف العلامات هو وحده المعنى ) .

بهذا، فإن مبدأ القيمة يطرح مسألة المعنى الذي لا يتحقق إلاّ من خلال العلاقات التقابلية على مستوى البنية الأولية للدلالة ،وقد استثمر (**غريماس**) مفهوم القيمة عند( **دي سوسير**) لبلورة المفاهيم الأساسية في البناء النظري خاصة مفهوم البنية الأولية للدلالة .

حدّد (**غريماس**) البنية بوصفها (مكوّنة من عنصرين وبينهما علاقة ) س 1/ س2 وهذا يعني أنّ عنصرا واحدا لا يمكن أن يحمل معنى في ذاته ،كما أنّ العلاقة تعدُّ شرطا أساسيا لحضور المعنى.

يكون تنميط هذه العلاقة على مستويين لإمكانية استيعاب العنصرين في كلتيهما:

1. علاقة الوصل في حالة ما إذا كان بينهما قاسم مشترك .
2. علاقة الفصل في حالة ما إذا كانا مختلفين .

توضح هذه المستويات طبيعة العلاقة المزدوجة "الاتصالية والانفصالية " وتقوم على تصور مفاده أنّ أي " لكسيم " « Léxéme » لا يمكن أن يحمل دلالة ما إلاّ من خلال علاقته الاختلافية مع العنصر الآخر وذلك من خلال الوقوق عند الاختلافات الآتية نحو :

إنساني / حيواني

طبيعي / ثقافي

مذكر / مؤنث

أبيض / أسود

لا يمكن بخصوص هذه الأمثلة إدراك أيّ لكسيم من اللكسيمات ( إنساني / طبيعي/ مذكر / أبيض) إلاّ من خلال العلاقة الاختلافية مع اللكسيمات الأخرى (حيواني / ثقافي / مؤنث ، أسود) داخل بنية .

بما أن نسق العلامات اللسانية يقوم على مبدأ القيمة " Valeur " ،فإنّه ( لا يمكن تحديد العلامة انطلاقا من تجسيدها المادي ، بل من خلال انتظامها داخل النسق ، أي من خلال العلاقات الاختلافية والتعارضية المتبادلة بينها وبين باقي العلامات داخ النسق اللساني ) وهو ما يدل على أن الدلالة تلتمسُ على مستوى البنية من منظور اختلافي أكثر ممّا يجب البحث عنها على مستوى الوحدة المفردة.